وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

جمالية التلقِّي والتأثير في شِعْر الحوليّات

أطروحة قدّمتها

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة

في اللغة العربية وآدابها

رُبى عبد الرضا عبد الرزاق التميمي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

خالد علي مصطفى

1436 هـ 2015 م

المبحث الأول: الجانب الديني .

لعلّ القيم الدينية شيء يدركه المتأمل في شعر صفي الدين الحلي بكلّ يسر ؛ لما احتلته من مساحة بارزة من شعره عامة ، فكان لا بدَّ له أن يعود إلى الاستعانة بتلك المضامين الدينية والشخصيات الإسلامية ؛ ليبرزها بأثر جمالي ، وبلا ريب أنَّ قصيدة كعب بن زهير التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول [1].

قد أسست في مدحها شخص الرسول الأكرم لغرض شعري سار على نهجه كثير من الشعراء وتسابقوا في النظم به على مر العصور . وقد اشتهر فيما بعد وصار بما يعرف المدح النبوي ، وأشهر من نظم فيه الشريف الرضي ، وكميت الأزدي ، ودعبل الخزاعي وغيرهم الكثير ، حتى وصل هذا الفن إلى ذروته في القرن السادس الهجري وعلى يد الشاعر الكبير البوصيري في رائعته :

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مَزجتَ دَمعًا جرى مِن مُقلةٍ بدمِ [2].

فكانت بحق إعلان لعشق نبوي صادق بلوحة شعرية قلّ مثيلها ، وما يهمنا فعلا هو تأثر صفي الدين بمضمون القصيدة حتى وصل به الأمر إلى تعالق فني خالص لذا جاءت ولادة كافيته البديعية معارضة واحتداء لنص البوصيري ، في هذا يقول أحد الباحثين : " انطلقت البديعيات على يد صفي الدين الحليّ الذي نظمها معارضة لقصيدة البوصيري ، وإن جاءت قصيدة

---

[1] ديوان كعب بن زهير :صنعه الإمام أبي سعيد الحسن ابن الحسين العسكري , قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. حنة نصر الحتي , دار الكتاب العربي , ط1 ، بيروت , 1994م : 26 .

[2] ديوان البوصيري (ت696هـ) قدم له الأستاذ أحمد بسج ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 2005 م : 165 .

البوصيري محملة لمشاعر صادقة تجاه شخص الرسول الأكرم ، فإنَّ قصيدة الكافية جاءت متكاملة بين مشاعر صفي الدين الحليّ الدينية وتأسيسا لغرض شعري عرف بالبديعيات " [1] .

والبديعيات في معناها الخاص هي " قصيدة طويلة في مدح النبي الأكرم على بحر البسيط وروي الميم المكسورة ، ويتضمن كلّ بيت نوعا من أنواع البديع يكون هذا البيت شاهدا عليه " [2] .

ويأتي جانب الإبداع الفني الأكبر في البديعيات أنَّها تضم الغرض الشعري بعاطفة الشاعر وروحانيته إلى جانب الغاية العلمية ؛ " فلا أحد ينكر إنَّ البديعيات جاءت بفنّ جديد في الشعر العربي لم نعرفه ولا أبائنا الأولين قبلها ، هذا النوع الذي سما بالمنظومات التعليمية إلى مرتبة الغرض الشعري ، كما أنَّه سما بغرض المديح عن المآرب والغايات القريبة " [3] .

وذهب كثير من الباحثين إلى عدّ صفيّ الدين الحليّ أول من أبتدع المدح النبوي المطرز بالبديع ، فاستطاع أن يطير بغرض المديح إلى أفق لم تعرفه القصيدة العربية ، وهو أفق يجمع بين الغرض الروحي الديني والغرض التعليمي ، فنظم قصيدته هذه في مئة وخمسة وأربعين بيتا ، وجعلها تشتمل على مئة وواحد وخمسين نوعا من أنواع البديع [4] ، وجعل كلّ بيت مثالا وشاهدا لذلك النوع ، وربما يرد نوعان أو ثلاث ، وقد حملت هذه القصيدة بعض الخصائص منها :

---

[1] البديعيات : علي أبو زيد : 68 .

[2] المصدر نفسه : 46 .

[3] المصدر نفسه : 50 .

[4] ذكر ابن المعتز خمسة أنواع من أنواع البديع ، وذكر السكاكي خمسة وأربعين نوعا ، أمَّا صفيّ الدين الحليّ فذكر مئة وواحد وخمسين نوعا .

1- صفيّ الدين الحليّ لم يذكر النوع البديعي كما فعل من عارض قصيدته من بعده أثناء نظم البيت الشعري [1] .

2- إنَّها " لم تصدر إلا مجاراة لعصر ازدهرت فيه المدائح النبوية وكثر فيه الحديث عن سيرة الرسول الأكرم " [2] ، فجاءت عن محبة واحترام حقيقي لشخص الرسول الكريم والتمسك بالدين الحنيف، لكن ما أضافه صفي الدين الحلي جعلها تستقل بكيانها عن كل المحاولات التي سبقته أو لحقته . إذ نظم يحيى عبد المعطي (ت 628 هـ) قصيدة مؤلفة من أبيات كلّ عدد منها مستقل في وزن وقافية وذكر فيها أولا : شواهد هذا البديع نظما ثم يقوم بذكر الشاهد ضمن بيت أو بيتين[3]، ثم تلى الدور على الأربيلي الذي كانت له محاولة في الاتجاه نفسه ، لكنَّ تلك المحاولتان لم يجديا نفعا ولم تفكا أسرا لفكرة أصبحت خلقا في أحسن تقويم على يد صفي الدين الحلي ؛ لذلك لا يمكن لنا أن نحمل لقب الريادة إلا لصفي الدين الحلي الذي أصبح هو المستحق والمشيد وغدا قبلة الناظرين [4] .

نسوق كلّ ذلك لتثبيت أصالة موهبة صفي الدين الحلي على الرغم من كلّ أماكن تعالق قصيدته مع قصيدة البوصيري ، التي منها :

المطلع : يقول البوصيري في مطلعه :

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مَزجتَ دَمعًا جرى مِن مُقلةٍ بدمِ [5].

حاول البوصيري أن يحقق الارتحال المكاني إلى وطن المسلم الأول ، أي : الأماكن الإسلامية المقدسة ، ومن ثم فإنَّ الرحلة مقدسة لتحقيق اللقاء

---

[1] بلغ عدد الشعراء اللا حقين لزمن صفي الدين الحلي وعارضوا قصيدته هذه والنظم في أثرها أكثر من مئة وأربعة وثلاثين شاعرا.

[2] لغة المديح في شعر صفي الدين الحلي ، رسالة ماجستير تقدمت بها سجا هادي ، الجامعة العراقية ، 2006م : 60 .

[3] يُنظر : أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم : 1/ 31 – 32 .

[4] يُنظر : البديعيات (نشاتها تطورها أثرها) : 68 .

[5] ديوان البوصيري : 165 .

فهي سبيل لاستحضار المحبوب والتوحد معه بحثا عن الدفء والخلاص . فكان مطلعا رائعا وتمهيدا عذبا للدخول للموضوع الثاني في القصيدة .

أمّا مطلع صفي الدين الحلي فلم يبتعد عن ذكر ذلك الارتحال بغية تحقيق اللقاء المرجو ، أي أنَّه اتبع البوصيري بمطلعه ، فيقول :

إن جئتَ سَلعًا فسَل عن جيرةِ العَلمِ واقرَ السّلامَ على عُربٍ بذي سَلمِ[1].

فكان التعالق وزنا وقافية ومكانا ارتحاليا دون أن يمنع صفي الدين الحلي من إظهار براعة من توظيف فني لتكراره لحرف السين (أربع مرات) ليضيف ترابطا في بناء البيت .

لوم العاذل : البوصيري يرى من يلومه ليس على حق في تقريعه ولو أنصف لم يلمه على هذا الهيام ، فيقول :

يا لائمي في الهوى العذري معذرةً مني إليكَ ولو أنصفتَ لم تلُمِ [2].

إنَّما يقيمه البوصيري من خطابه للعاذل يقصد من ورائه خلق خطاب صوفي في نصه لاستغلال طاقة تعبيرية مكثفة تنسجم مع طبيعة الفكر الصوفي في تحقيق أرقى مستويات العلاقة بين الخالق والمخلوق .

أمَّا صفي الدين الحلي فنراه يكمل مطلعه بذكر غزلي قائلا :

فقد ضَمِنتُ وُجودَ الدمعِ من عدمِ لهم ، ولم أستطعْ مع ذاكَ منعَ دَمي [3] .

فجاء ذكر الغزل في شعر صفي الدين الحلي غير خاضع إلى عشق صوفي لكنَّه ناجح في ملاءمته للروح الرقيقة والشوق الذي يعيشه انتظارا للقاء شخص امتزج بروحه بكلّ محبة ؛ لذا نجد الحجة الحموي يصفها بقوله

[1] ديوان صفي الدين الحلي : 568 .

[2] ديوان البوصيري : 166 .

[3] ديوان صفي الدين الحلي : 568 .

: " هي من أحسن البراعات إذ إنَّه مزج دمعه بدمه عند تذكر جيران بذي سلم ، وهذا من ألطف الإشارات إلى أنَّ القصيدة نبوية " [1] .

الغرض الرئيس : رسم صورة الرسول الأكرم بذكر صفاته كما يراها الشاعران ، وهنا نرى صفي الدين الحلي يستمر في تعالقه مع نص البوصيري بذكره لبعض صفات الرسول الأكرم ذكرها البوصيري في نصه ، التي منها كرم الرسول الأكرم ، يقول البوصيري واصفا كرم نبينا محمد :

ولا التمستُ غِنى الدارينِ من يدِهِ إلَّا استلمتُ الندى مِن خيرِ مُستَلَمِ [2].

فيظهر براعة واضحة في توظيف الجناس بين (التمست ، واستلمت) و(غنى ، وندى) ليسهل ذلك التوظيف في نشر كرم الرسول وسعته في ذهن المتلقي .

أمَّا صفي الدين الحلي ، فيقول :

فجُودُ كَفيهِ لم تُقلع سحائبُهُ عن العبادِ وجودُ السُّحبِ لم يُقِمِ [3].

فجاء معنى بيته يؤكد أنَّ الكرم طبع أصيل لأخلاق الرسول الكريم ، فالتفريق واضح الدلالة بين جود النبي الأكرم وجود السحاب ، فيظهر تعالقا مع نص البوصيري لنشر صفة الكرم وجعلها صفة تدلّ على الكثرة والغزارة .

شجاعة الرسول : يصف البوصيري شجاعة الرسول لحظة المعركة في صورة مشهدية ، فيقول :

ما زالَ يَلقاهُمُ في كلِّ مُعترَكٍ حتى حَكَوْا بالقنا لحمًا على وَضَمِ

وَدُّوا الفِرارَ فكادُوا يَغبِطُونَ به أشلاءَ شالتْ مَعَ العِقبانِ والرَّخَمِ [1].

---

[1] خزانة الأدب ، الحجة الحموي ، عصام شعيتو ، ط1 ، بيروت ، 1987م : 1 / 39.

[2] ديوان البوصيري : 166 .

[3] ديوان صفي الدين الحلي : 568 .

فكانت صور الأعداء وهم في حالة الضعف والانكسار والفرار لتثبت قوة وبسالة الرسول الأكرم .

أمَّا صفي الدين الحلي ، فنراه يقول :

أفتى جيوشَ العِدى غزوًا فلستَ ترى سوَى قتيلٍ ومأسورٍ ومُنهــزِمِ

أبادَهُم فَلِبيتِ المـــــالِ ما ملَكُوا والروحُ للسيفِ والأشلاءُ للرخَمِ [2].

وهنا نرى صفي الدين الحلي يلجأ إلى الجمع التقسيم كقيمة معنوية في عرض المعاني واستيفاء صورها مما يجعلها مؤثرة على متلقيه والتقسيم كما يعرفه أبو هلال العسكري : " التقسيم الصحيح : أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه " [3]، واستطاع باستعماله إياه توكيد المعاني وذلك بتحميل عباراته الشعرية الطاقة القصوى من التأنق الموسيقي المطلوب لأداء هذه المعاني وبأقل عدد ممكن من الكلمات .

الخاتمة وحسن التوسل : جاءت خاتمة صفي الدين الحلي متعالقة مع خاتمة البوصيري فأنارت عن تصديق للوعد وتمني قبول التوبة التي كانت غرضه الأول من نظمه للقصيدة . يقول البوصيري :

خَدمتُهُ بمديحٍ استقِيلُ بهِ ذُنُوبَ عُمرٍ مضى في الشعرِ والخِدَمِ

أطعتُ غَيَّ الصبَا في الحالتينِ وما حَصَلتُ إلَّا على الآثامِ والنـدَمِ

ومَنْ يَبِعْ آجلًا منهُ بعاجِلِهِ يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بَيعٍ وفي سَلَمِ

---

[1] ديوان البوصيري : 167 .

[2] ديوان صفي الدين الحلي : 568 .

[3] الصناعتين : أبو هلال العسكري , تح. علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية ، بيروت , 1986 م: 375 .

إن آتَ ذنبًا فما عَهدِي بمُنتَـقِضٍ مِنَ النـبيّ ولا حَـبلي بمُنــصَرِمِ [1].

أمَّا خاتمة صفي الدين الحلي فيقول فيها :

وعدَتـني في مَنامي ما وَثِقتُ بهِ مع التقاضي بمدَحٍ فيكَ مُنـتظِـمِ

فـقلتُ : هذا قبولٌ جاءَني سَلَفًا مـا نـالَـهُ أحدٌ قبَـلي من الأُمَـمِ

لصِدقِ قولكَ لو حَبَّ امرؤٌ حجَرًا لكانَ في الحَشرِ عن مَثواهُ لم يَرِمِ

فوَفّني ، غـيرَ مأمورٍ وُعودَكَ لي فليسَ رُؤياكَ أضغاثًا مِنَ الحُلُمِ [2].

نقـول إنَّ كـلّ ذلـك التعـالق لـم يمنـع صـفي الـدين الحلـي مـن ترسـم خطـوات أثـره بشـكل مسـتقل فنـراه يخـرج باقتـدار وأن يغيـر مـن وظيفـة الشـعر مـن خطـاب أدبـي روحـي إلـى خطـاب أدبـي تعليمـي ، بتناسـق فنـي نـادر حقـق بـه الإمتـاع الوجداني بإقناع عقلي .

يمكـن للمتأمـل فـي قصـيدة صـفي الـدين الحلـي يـرى تعمـده التعـالق مـع قصـيدة البوصـيري ؛ كونهـا " عـدت أنموذجـا للنبويـات فـي العصـر المملـوكي بـل إنَّ شهرتها تجاوزت إطارها التاريخي لتصبح أنموذجا للنبويات بشكل عام " [3].

وعلـى الـرغم مـن أن صـفي الـدين الحلـي قـد ادعـى السـبب نفسـه مـن وراء نظـم القصـيدة ، لكننـا نميـل إلـى الاعتقـاد بـأنَّ مـن كـان عارفـا بقيمـة الـنص ومرجعياتـه الدينيـة ، فسـعى إلـى التعـالق معـه ، وأحـب أن يتشـارك فـي التكـريم النبـوي ، دون أن يمنعـه ذلـك أن يبتعـد فـي بصـمته وأدائـه العـام ، لـذلك وقـف علـى أكثـر مـن موقـع مـن نـص البوصـيري يتآصـر معـه وينطلـق منـه فـي نسـج شعري وأداء قلّ نظيره في الشعر العربي .

---

[1] ديوان البوصيري : 168 .

[2] ديوان صفي الدين الحلي : 568 .

[3] بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي : 82 .

Abstract

Due to the fact that opposition has a history that was founded with the emergence of poetry itself, therefore, its history has formed a strong basis that assisted to enrich Arabic poetry to mount to deep rooted ranges of genuine expression about culture of the nation and the scope its literature, and what it has formed in its development as a unique phenomenon that is a characteristic feature of the Arab Nation alone.

It would not be a mere pretention to state that this was the point that has appealed to the researcher and made him choose the dissent as the topic of this current study with the aim of examining its manifestations and digging deep into its essence. It is of great difficulty and challenge, especially in the humanities and critical studies, to deal with the topics of such interior depths in their minutest detail, particularly if its objective is specified with a practical intention of study to cope with this art in a poet who was described as the most renowned and celebrated of his time. Therefore, the thesis comprised a prologue and three chapters:

The prologue: attempted to define the terms (structure, text and dissent) inside of dictionaries, in the Arabic or western modern critical culture.

Chapter the first: is dedicated to the study of the roots of the art of opposition in the history of Arabic poetry along with the reasons of its emergence and development.

The second chapter: aimed at the inquisition of opposition types in the poetry of Saffi Eddin Elhilli in all its kinds (complete, incomplete, forwarded and dissent in rimes).

Chapter three is allocated to deal with the function of opposition in its creative consideration to the poet which led him to search and stand in front of a peer of it by searching for the concept of textual peer and following up the notions of (analogous text, the correspondent, the purported and the opposite).

The study ends with a conclusion that sums up the findings of the study, followed by a list of sources and references.